

سلسلة فقه القوم على الله

يا ليتني قدمت لحياتي

الحمد لله العلي الأعلى، الولي المولى، الذي خلق وأحيا، وحكم على خلقه بالموت والفناء، والبعث إلى دار الجزاء، والفصل إلى دار القضاء، لتجزى كل نفس بما تسعى، أحمده حمد من صبر على القضا، وأشكره شكر من رضي بقضاء ربه فكان له من الرضا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد عرف أنه إلى ربه صائر وراجع، ومحاسب على كل عمل هو فيه مخادع، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله الذين أنزل عليه في كتابه المكنون ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ الزمر (30) اللهم صلى وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آلهم وصحبهم أجمعين. وبعد...

مهما طال العمر فلا بد أن يأتي اليوم الذي يكون فيه العبد طريحاً بين أهله، لا حراك له وقد وقعت منه الحسرة، وجفت منه العبرة، وثقل منه اللسان، واشتدت به الأحزان، وعلا صراخ الأهل والولدان، ونادوا بالأطباء للدواء، ووقع القضاء وضاق القضاء.

قال - تبارك وتعالى - : ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ الواقعة

ساعة الاحتضار في حياة السلف هي ساعتنا التي سوف نمر بها، فما منا إلا ميت، وما منا إلا محتضر، ولا منا إلا قادم على تلك الساعة، والله لنذوقنها ووالله لنشربها... فقد ذاقها الملوك والمملوكون، والرؤساء والمرؤوسون، والأغنياء والفقراء، وذاقتها الأمم جميعاً، وأحسو بالموت ﴿وَكَمَّ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ نُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ نَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ مريم (98)

ولقد جاء في كتاب الله العزيز أكثر من مائة وثمان عشرة آية تذكر الموت.

وقال ابن القيم رحمه الله :

يا غافلاً عما خُلِّقْتَ له انتبه جَدِّ الرحيْلُ فلست باليقظان

سار الرفاق وخلفوك مع الألى فتعوا بذا الحظ الخسيس الفاني

ورأيت أكثر من ترى متخلفاً فتبعتهُم ورضيت بالحرمان

لكن أتيت بخطتي عجز وجهل بعد ذا، وصحبت كل أمان

مَنَّاكَ نفسك باللاحق مع القعود عن المسير وراحة الأبدان

ولسوف تعلم حين ينكشف الغطا ماذا صنعت وكنت ذا إمكان

✉ قال الفضيل بن عياض: "لو كانت الدنيا ذهب يفتنى والآخرة خزف يبقى لكان ينبغي أن تؤثر خزفاً يبقى على ذهب يفتنى، فكيف والدنيا خزف يفتنى والآخرة ذهب يبقى؟!"

✉ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ .

✉ وَكَانَ ابْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: "إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ" رواه البخاري.

✉ قيل لبعض الزُّهَّادِ: ما أبلغ العِظَاتِ؟ قال: انظُرْ إِلَى الْأَمْوَاتِ"

✉ وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول: "كفى بالله محبًّا، وبالقُرْآنِ مُؤَنِّسًا، وبالموتِ واعظًا، وكفى بخشية الله عِلْمًا، وِ الاغترار بالله جهلا .

✉ الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كتب على خاتمه " كفى بالموت واعظًا".

📖 ماذا نقصد بحياة البرزخ:

يطلق على المرحلة التي يمر بها الإنسان بعد هذه الحياة الدنيا عدة أسماء ، منها :

👉 والبرزخ ، القيامة الصغرى ، والموت .

📖 تعريف البرزخ : في كلام العرب الحاجز بين الشيئين ، قال تعالى : (وجعل بينهما برزخاً) [الفرقان : 53] ، أي : حاجزاً

📖 والبرزخ في الشريعة : الدار التي تعقب الموت إلى البعث .

قال تعالى : (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [المؤمنون : 100] .

✉ قال أبو صالح وغيره من المفسرين: { وَمِنْ وَرَائِهِمْ } يعني: أمامهم.

📖 وقال محمد بن كعب: "البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة، ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون، ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم بالجنة أو النار.

وقيل للشعبي : مات فلان ، ليس هو في دار الدنيا ، ولا في الآخرة .

وقيل : البرزخ، المقابر، لا هم في الدنيا، ولا هم في الآخرة، فهم مقيمون ينتظرون: (أَيَّانَ يُبْعَثُونَ [النحل: 21]. [تفسير القرآن العظيم: 494/5].

الحياة البرزخية : اسم يُطلق على الفترة الزمنية من بعد موت الإنسان ودفنه إلى قيام الساعة .

وقال ابن القيم : " عذاب القبر ونعيمه اسمه لعذاب البرزخ ونيعمه ، وهو ما بين الدنيا والآخرة.

هذه دار فيها نعيم وفيها عذاب والدليل كما في حديث البراء بن عازب إذا وفق للاجابة على

أسئلة القبر من ربك ، ما دينك ، من نبيك (فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَقْرَسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَالْبَيْتُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيْبِهَا وَيُفْسَخُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّةَ بَصَرِهِ) رواه الامام أحمد وصححه الالباني

وإن لم يجب على الاسئلة كان العكس وتحول منزله الى دار العذاب والعياذ بالله.

وقال ابن القيم في كتاب الروح: "إن الله سبحانه وتعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين؛ ليجزى فيهما : (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) (النجم 31)

فالبعث الأول: مفارقة الروح للبدن، ومصيرها إلى دار الجزاء الأول.

ما هو دار الجزاء الأول ؟ القبر و البرزخ.

والبعث الثاني: يوم يرد الله الأرواح إلى أجسادها، ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو النار، وهو الحشر الثاني.

ولهذا جاء في الحديث الصحيح : (وتؤمن بالبعث الآخر) رواه البخاري

تميزًا له عن البعث الأول الذي هو الموت، والجزاء الأول في القبور إما النعيم وإما العذاب.

قال ابن القيم: إن الله سبحانه جعل الدور ثلاثا: دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار.

وجعل لكل دار أحكاما تختص بها وركب هذا الإنسان من بدن ونفس ، وجعل أحكام دار

الدنيا على الأبدان والأرواح تبعًا لها ، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من

حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلفه، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان

تبعًا لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها ، وكانت هي

التي باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها والأرواح حينئذ هي

التي تباشر العذاب والنعيم، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية والأبدان كالقبور لها ، والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها ، تجرى أحكام البرزخ على الأرواح ، فتسرى إلى أبدانها نعيماً أو عذاباً كما تجرى أحكام الدنيا على الأبدان فتسرى إلى أرواحها نعيماً أو عذاباً.

ومتى أعطيت هذا الموضوع حقه تبين لك أن ما أخبر به الرسول من عذاب القبر ونييمه وضيقه وسعته وضمه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة مطابق للعقل وأنه حق لا مرية فيه وإن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه أتى كما قيل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً * * وآفته من الفهم السقيم

وأعجب من ذلك أنك تجد النائمين في فراش واحد وهذا روحه في النعيم ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه وهذا روحه في العذاب ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه وليس عند أحدهما خبر عند الآخر فأمر البرزخ أعجب من ذلك.

من أفنى عمره يتعلم من ربك، ما دينك ، من نبيك ، يظفر ويفوز بفراش الجنة ولباسها وطيبها وهو في دار نعيم منعم الروح والبدن ، وإن كان الظاهر لك غير هذا من الصخور والتراب

وهذا له شواهد كثيرة نذكر منها مثال ثبت في سير العلماء:

الإمام محمد بن إسماعيل البخاري كم صح في سير اعلام النبلاء: (أن رائحة أطيّب من المسك كانت تفوح من قبر الإمام البخاري، صاحب الصحيح عدة أيام، حتى تحدث أهل البلدة عنها، رحمه الله!).

الموت مصطلح يطلق على المرحلة التي يمر بها الإنسان بعد هذه الحياة الدنيا :

معناه في لغة العرب : السكون ، وكل ما سكن فقد مات.

والموت اصطلاحاً: " انقطاع تعلق الروح بالبدن ، ومفارقته وحيلولة بينهما ، وتبدل حال ، وانتقال من دار إلى دار " . القرطبي

قال بعض العلماء: الموت هو القيامة الصغرى، ومن مات فقد قامت قيامته.

وقد جاء في الصحيحين عن عائشة قالت: (كان رجال من الأعراب يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الساعة، فكان ينظر إلى أصغرهم، فيقول: إن يعيش هذا لا يدركه الهرم، حتى تقوم عليكم ساعتكم) رواه البخاري ومسلم

ليس المقصود به الساعة الكبرى، بل الساعة الصغرى (القيامة الصغرى).

الساعة الصغرى موت الإنسان الواحد، فساعة كل إنسان موته، وهي المشار إليها

بقوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ([الأنعام: 40].

وقوله تعالى: (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا [الأنعام: 31]

هل الموت خلق من خلق الله ؟

إن الموت خلق و الحياة خلق كما قال تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ الملك 2

وبما أن الموت خلق فله انقضاء، كما ان للحياة انقضاء

عن ابن عمر قال أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ نَمٌّ يُدْبِحُ نَمٌّ يُنَادِي يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ ، فَيَزِدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ وَيَزِدَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ). البخاري ومسلم

لم يخلق الله سبحانه الانسان للفناء بل خلقه للديمومة وما الموت إلا مرحلة ، وبعدها تبدأ

الحياة الأبدية سواء في الجنة أو في النار. ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ الشورى 7

عندما يدرك العبد هذه الحقيقة يقول : (يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) .

كما قال قتادة :هناكم والله الحياة الطويلة.

سؤال هل الموت مصيبة؟ الموت من أعظم المصائب التي تحلُّ بالإنسان، وقد سمَّاه الله

تعالى في كتابه الكريم مصيبة ﴿ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ المائدة 106

لكن المصيبة الأعظم منه : & الغفلة عنه ، & والاعراض عن ذكره ، & وقلة التفكير فيه ،

& وترك العمل له.

سبحان الذي قهر عباده بالموت والفناء قال تعالى ﴿ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ

حَفْظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴾ الأنعام 61

وتبارك الذي جعل لنا ما يشبه الموت حتى لا نغفل عنه ، رحمة ورأفة بنا ليبقى حاضر في

أذهاننا ، يذكرنا به في كل حين ، فيحفزنا ويدفعنا إلى الجد والنشاط في عمل الصالحات والبعد عن

السيئات ، والمداومة على الاستغفار ولزوم التوبة .

فالنوم وفاة صغرى، تذكر العباد بالوفاة الكبرى:

النوم شبيه الموت ، ولذلك يسميه علماءنا بالوفاة الصغرى ، فالنوم وفاة ، والقيام من النوم بعث

ونشور ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ [الأنعام : 60]

عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سئِلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيَنَامُ

أَهْلُ الْجَنَّةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَنَامُونَ)

صححه الألباني في السلسلة الصحيحة

ومن أذكار الصباح دعاء نرده كل يوم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ ،
فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي ، وَعَافَانِي فِي جَسَدِي ، وَأَذَنَ لِي بِذِكْرِهِ . "

﴿ ونقول (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور) بخاري ومسلم

فهل من مذكر ومعتبر ، نموت ونبعث ، ونموت ونبعث في كل يوم ، حتى نستعد ليوم عظيم،

يوم يقوم الناس لرب العالمين..

وعن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: (سرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فقال بعض
القوم: لو عرست بنا يا رسول الله قال: أخاف أن تناموا عن الصلاة، قال بلال: أنا أوقظكم
فاضجعوا، وأسند بلال ظهره إلى راحلته، فغلبته عيناه فنام، فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم
وقد طلع حاجب الشمس فقال: يا بلال أين ما قلت؟ قال ما ألقيت عليّ نومة مثلها قط، قال: إن
الله قبض أرواحكم حين شاء وردّها عليكم حين شاء، يا بلال قم فأذن بالناس بالصلاة، فتوضأ،
فلما ارتفعت الشمس وابيضت قام فصلى). رواه البخاري

﴿ قال تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى

عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) [الزمر : 42].

← ذكر في هذه الآية الوفاتين: الكبرى، والصغرى.

التفسير الميسر : الله- سبحانه وتعالى- هو الذي يقبض الأنفس حين موتها، وهذه الوفاة الكبرى، وفاة الموت بانقضاء الأجل، ويقبض التي لم تمت في منامها، وهي الموتة الصغرى، فيحبس من هاتين النفسين النفس التي قضى عليها الموت، وهي نفس من مات، ويرسل النفس الأخرى إلى استكمال أجلها ورزقها ، (قال صلى الله عليه وسلم (إِنَّ رُوحَ الْفُؤُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي ، أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلَهَا ، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا)صحيح الجامع) وذلك بإعادتها إلى جسم صاحبها، إن في قبض الله نفس الميت والنائم وإرساله نفس النائم، وحبسه نفس الميت، أدلائل واضحة على قدرة الله لمن تفكر وتدبر.

وقال ابن عباس رضي الله عنه : يمسك أنفوس الأموات ويرسل أنفاس الأحياء، فهذا يقبضه، وهذا يرسله، وهذا يعجله، وهذا يؤخره عز وجل.

في النوم تقبض أرواح العباد ، ومن شاء الحق أن يمسك روحه في حال نومه أمسكها ، ومن شاء بقاءها ردها إلى الأجل الذي حدده سبحانه.

← ومع ذلك نحن غافلين عن الموت ، و تمر الساعات والأيام والشهور والسنوات من عمرنا دون ان نذكره ، ونلقى الله ولم نستعد بعد، نحن محتاجون دائماً إلى من يلفتنا إلى هذه الحقيقة ، حقيقة الموت .

كما قال علي رضي الله عنه : الناس نيامٌ فإذا ماتوا انتَبهوا.

الموت حتم لازم لا مناص منه لكل حي من المخلوقات:

كما قال تعالى : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [القصص : 88] ،

وقال : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ - وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [الرحمن : 26-27] .

وقال : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) [آل عمران : 185] .

ولو نجا أحد من الموت لنجا منه خيرة الله من خلقه محمد صلى الله عليه وسلم : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) [الزمر : 30] ،

وقد وصى الله رسوله بأن الموت سنته في خلقه (وَمَا جَعَلْنَا لِشَيْءٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ) [الأنبياء : 34].

والموت حق على الإنس و الجن : ففي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول (أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون) صحيح بخاري

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ - وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [الرحمن : 26-27] .

وهو الحي سبحانه لا يموت، والجن والإنس يموتون، وتموت الملائكة، وحملة العرش، وينفرد الواحد القهار بالديمومة بالبقاء، فيكون آخرًا كما كان أولاً .

للموت أجل محدد

للموت وقت يأتي فيه ، فلا يستطيع أحد أن يتجاوز الأجل الذي ضربه الله ، وقد قدر الله آجال العباد ، وجرى بذلك القلم في اللوح المحفوظ .

عن عبادة بن الصامت قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم (إِنَّ أَوْلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ، قَالَ : رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ) رواه ابو داود وصححه الالباني

وكذلك كتبه الملائكة الكرام والمرء في بطن أمه ، فلا يتأخر المرء عما كتب له ولا يتقدم .

عن حذيفة بن أسيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً ، بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا ، فَصَوَّرَهَا ، وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَبِّ أَذْكَرَ أَمْ أُنْثَى ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا رَبِّ أَجَلُهُ ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا رَبِّ رِزْقُهُ ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ ، وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلِكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أَمَرَ وَلَا يَنْقُصُ) صحيح مسلم

وكل إنسان مات أو قتل أو غرق أو سقط من طائرة أو سيارة أو احترق أو غير ذلك من الأسباب ، فإنه قد مات بأجله الذي قدره الله و أمضاه ، وقد دلت على ذلك نصوص كثيرة .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (حَطَّ النَّبِيُّ ﷺ حَطًّا مُرَبَّعًا، وَحَطَّ حَطًّا فِي الْوَسْطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَحَطَّ حَطًّا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ، فَقَالَ: هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطًا بِهِ -أو: قد

أَحَاطَ بِهِ- وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمْلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطُطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنَّ أَخْطَأَ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا (رواه البخاري).

يعيش الإنسان في هذه الحياة قدر ما قدر له:

وقال : (نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) [الواقعة : 60] .

قال مجاهد: (لَا يَتَقَدَّمُ شَيْءٌ مِنْ أَجَلِنَا ، وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ) . رواه الطبري

قال تعالى : (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا) [آل عمران : 145]

و قال : (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ) [النساء : 77] .

وقال: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) الأعراف (34)

في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال : قالت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله عنها : " اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ، وبأبي أبي سفيان ، وبأخي معاوية " . قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لقد سألت الله لأجال مضروبة ، وأيام معدودة ، وأرزاق مقسومة ، لن يعجل شيء قبل حله ، ولن يؤخر الله شيئاً بعد حله ، ولو كنت سألت الله أن يعيدك من عذاب في النار ، أو عذاب في القبر كان خيراً أو أفضل " .

متى موعد الموت ؟ وقت الموت مجهول لنا ؟ بل يأتي بغتة

قال تعالى (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) الانعام 31

وفي الوسيط : تفسير قوله - تعالى (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً) الأنعام 31

قال الساعة : وهو الموت وما فيه من الأهوال.

إشارة إلى أنها تفاجئهم بأهوالها من غير أن يكونوا مستعدين لها أو متوقعين لحدوثها ، أما المؤمنين- فإنهم رغم عدم علمهم بمجيئها - فإنهم يكونون في حالة استعداد لها بالإيمان والعمل الصالح .

فالمتوقع من المؤمن أن يلتزم شرع الله ، فاعل للطاعة ، مجتنب المعصية ، مستعد للموت في كل لحظة ، لعلمه أنه يأتي فجأة بغتة دون استئذان ، طوبى طوبى لعبد زم نفسه وهواه، ونأت عن

مواطن الفتن ميوله وخطاه، وأودع في محاضن الخير جوارحه وفؤاده، وسلّم لشرع الله طاعته وانقياده.

قال تعالى (أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36)) [القلم

لا يستوي عند الله من اتقاه و خافه ، واستعد للقائه كمن غفل عن ذلك ، وأصر على العداء ، فعصاه وصد عن سبيله وحارب شرائعه وأولياءه أو أعرض عن دين الله ، لا يستوي أبداً من أسلم وجهه لله ، مع من أجرم في حق نفسه قبل أن يجرم في حق مولاه ، لا يحكم عقل سليم بينهم بالمساواة في المكانة ولا في الجزاء.

ليطمئن الطائع إلى ثواب الله وحسن نُزله، سيكرمك الكريم ابشر فأنت مقبل على أرحم الراحمين ، وليحذر الخارج عن طاعة ربه أن يدركه جزاء فسوقه وإعراضه ، فيظهر بذلك عدل الحكم العدل، ولا يظلم ربك أحداً.

قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه :

يَا مَنْ بِدُنْيَاہِ اسْتَعَلَّ *** قَدْ غَرَّهُ طُولُ الْأَمَلِ

الْمَوْتُ يَأْتِي بَعْتَهُ *** وَ الْقَبْرِ صُنْدُوقُ الْعَمَلِ

وَ لَمْ تَزَلْ فِي عَقْلَةٍ *** حَتَّى دَنَا مِنْكَ الْأَجَلُ

لا علم للعباد بالوقت الذي يحضر فيه الموت ، وينزل بهم ، ولا علم لهم أن يدركهم وفي أي مكان ، فلا علم لأحد لا بالزمان ، ولا بالمكان ، فإن علم ذلك لله وحده ، وهو واحد من مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها.

قال تعالى : (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ) [الأنعام : 59]

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مفاتيح الغيب خمس : (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيُعَلِّمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) " [لقمان : 34] .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " (إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له فيها حاجة) " السلسلة الصحيحة

أعطي مثال من واقعنا عن شاب اردني "محمود ملحم"، لم يخرج من الأردن طيلة حياته حتى تزوج ، وكان شهر العسل كما يسموه في إندونيسيا ، يقضي وقته على الشاطئ وهو من محبين الغطس والسباحة ، ينزل في البحر فلا يخرج والعروس تنتظر ، فما خرج الا جثة هامدة ، ذهب بملابس الزفاف وعاد الى اهله بالأكفان ، ما كان يدري أن ملك الموت ينتظره في إندونيسيا وتحديدا في البحر ، جعلت له حاجة لتقبض روحه كما كتب القلم في اللوح المحفوظ .

ومثلها معلمة تعاهدت مع بلد وهي ما ركبت طائرة قبل ذلك تاركة خلفها طفلها وزوجها وتقدمتهم لترتيب حضورهم ، أول يوم دوام في المدرسة وهي خارجة إذا سيارة تدعمها ، وتقبض روحها الى بارئها ، وما كان حتى يخطر على بالها هذا اللقاء مع ملك الموت اللهم احسن خاتمتنا .

إلى الله نشكو قسوة في قلوبنا وفي كل يوم واعظ الموت يندب

إلى الله نشكو قسوة قد عمت، وغفلة قد طمت، وأياماً قد طويت، أضعناها في المغريات، وقتلناها بالشهوات ، كم من قريب دفناه، وكم من حبيب ودعناه، ثم نفضنا التراب من أيدينا وعدنا إلى دنيانا ، لنغرق في ملذاتها.

ولنعلم أن تذكر الموت لا يعني كثرة الحزن وطول النحيب مع الإقامة على التفريط ، ترك الواجبات، وعمل المحرمات ، والإسراف في المباحات ، إن تذكرنا للموت يجب أن يقترن بحسن العمل ، وقصر الأمل ، والخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

لماذا أخفى الله عنا موعد الأجل؟ لحكمة يريدنا الله عز وجل فينا ورحمة بنا .

❖ أما الحكمة:

1. المسارعة في فعل الطاعات : الانسان ما دام لايعرف متى سيلقى الله فإنه يسارع في الخير ويغتتم الفرصة

ليفعل كل ما يستطيع من الخير ﴿ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ ﴾ البقرة 148 ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ آل عمران

2. الابتعاد عن اقتراف المنكرات : نبتعد عن المعاصي، لأننا لا نعلم إذا كان الأجل سيتمد بنا حتى نتوب، أم

يдахمنا الموت ونحن متلبسون بالمعصية والعياذ بالله.

لو أن الأجل معلوم لاضطربت موازين الخير والشر في الكون فإذا علم الإنسان أن أجله سينتهي عند

الستون عاما مثلا يبقى غارقا في أهواء وشهوات نفسه ثم يتوب عما قريب قبل انتهاء الأجل بعام أو نصف عام

وهنا أعطينا استمرارية للشر في الكون لأنه سيؤخر فعل الخير إلى السنوات الأخيرة من عمره فنكون بذلك قد قطعنا استمرارية الخير ولكن حتى يستمر الخير في الكون ويسارع كل منا إليه فإن الأجل المخفي هو السبيل.

❖ **وأما الرحمة:** تخيلوا معي لو عرفنا موعد الأجل وقبض الروح كيف يكون حالنا ؟؟ بالتأكيد لقدعنا يلفنا الحزن

والياس ، ونحن ننتظر الموت، ولكن رحمة الله بنا رزقنا الأمل في الحياة ، أعاننا لكي نبني ونعمل ، فنملئ الكون عملا وأملا وتقاتل ، ونستعد للقاء الله ، براحة وطمأنينة وأمان ، فالحمد لله رب العالمين .

◀ وإذا ما أنقضى ما قدره الله للإنسان من حياة يداهمه الموت، ولا يمكنه الهروب منه ولو أحتفى في بروج

مشيدة .

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَتَرَوْنَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَأَكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الجمعة

8 ﴿ أَيَتَمَّا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾ النساء 78

◀ ولا يمكن لنا تأخير الأجل، فلن يُطال في عمرنا ويزاد على ما مقدر لنا وكتب

﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المنافقون 11

وفي الختام :

العاقل لا يغفل عن ذكر الموت:

علينا أن نذكر الموت الذي قصم الله به رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الأكاسرة ، وقصر به آمال

القياصرة، الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة ، حتى جاءهم الوعد الحق فأرادهم في الحافرة،

فنقلوا من القصور إلى القبور، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحد، ومن ملاعبة الجواري والغلمان

إلى مقاساة الديدان والهوام، ومن التمتع بالطعام والشراب إلى التمرغ في التراب، ومن أنس العشرة

إلى وحدة الوحشة، فانظر هل وجدت من الموت حصناً وعزاً أم اتخذوا من دونه حجاباً وحرزاً،

وانظر هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً:

أنسيت يا مغرور أنك ميت *** أيقن بأنك في المقابر نازل

تفنى وتبلى والخلائق للبلوى *** أبمثل هذا العيش يفرح عاقل

اللهم هون علينا سكرات الموت وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة اللهم اجعل آخر
كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، اللهم آنس وحشتنا وفرج كربتنا وثبتنا على
الصراط يوم البعث والنشور، وحرّم وجوهنا ووجوه أمهاتنا وأبائنا على النار، واجمعنا بهم في مقعد
صدق عند مليك مقتدر والحمد لله رب العالمين.